بركـات التبــرير

مع التبرير تأتي كل أنواع البركات. ما هي هذه البركات؟ هذا ما سوف يشرحه لنـا الآن بولس الرسول.

البركات الحالية

البركة الأولى هي "السلام مع الله بربنا يسوع المسيح" (عدد1). لقد كـان الله غاضبًا منا، وقد تجمَّع غضبه ودينونته علينا. ونحن، مثلنـا مثل جميـع البشر كنـا مذنبين أمـام الله. هذا ما تعلمناه من الأصحاحات الثلاثة الأولى. لكن الآن، تم استرضاء الله من خلال ما عملـه في المسيح (3 : 25). الغضب والعقـاب الـذي كـان من المفروض أن ينـصب علينـا، انـصب على من هو بدلاً منا، وبواسطة الإيمان يحُسب لنا بر المسيح. لـم يعد هنـاك عقـاب لنحملـه، فلا يجد الله فينا ما يستوجب الدينونـة ؛ بـل بـالعكس ننـال استحسانه القلبي. لقد زال غضب الله تجاهنا. نحن الآن في سلام معه، بربنـا يسوع المسيح. والإشـارة إلى السلام هنـا، ليس المقصود بها – في المقام الأول – حالتنا العقلية أو المزاجية؛ ولكنها تحدد علاقتنا بالله.

البركة الثانية هي "الدخول بالإيمان إلى هذه النعمـة التـي نحن فيهـا مقيمـون" (عدد2). إننا لسنا مجرد أناس رُفع عنهم غضب الله، ولكن حُسب لنـا البر الـذي يمدحُنا أمـام الله. لقد انتهى غضب الله علينا، وبدلاً من الغضب؛ أصبح الله يُسر بنا ويقبلنا. لقد أحضِرنا بالمسيح إلـى مكـان الحـضرة الملكيـة، وإلـى حالـة رائعـة مـن القبـول الإلهـي الكـريم. لقد دخلنـا إلـى الحضرة الملكية؛ لأننا نلبس الثياب الملكي. وفي هذه الحياة نستطيع أن نخاطب الله، وأن نسير معه، وأن نتمتع به. إنه لن يكون بعيدًا عنا، إنه إلهنا.

ويمكننا أيضا أن "نفتخر على رجاء مجد الله" (عدد2). يمكننا أن نتمتع بالله في هذه الحياة. لكن عندما نموت هل سيرفضنا الله؟ كلا – ليس هناك سبب يدعوه لأن يفعل ذلك؛ ففي المسيح قبولنا لدى الله كامل وأبدي. إنه سوف يقبلنا في بيته المجيد. هذا مؤكد؛ لكنه لم يحدث بعد. هذا هو المعنى الكتابي لكلمة "رجاء" التي يستخدمها بولس الرسول هنا، والتي سوف يستخدمها أيضًا بعد ذلك في هذه الرسالة. إننا لا ننتظر انسكاب غضب الله؛ ولكننا ننتظر بالأحرى كشف النقاب عن مجده. إننا لسنا متَّجهين صوب أتون النار؛ ولكن إلى النهر الزجاجي الشبيه بالبلُّور. إن هذا الضمان هو أحد البركات الحالية المصاحبة للتبرير.

هل تقلل تجارب وصعوبات الحياة المسيحية من بركاتها؟

هذا سؤال جيِّد. إننا لسنا في السماء بعد. لقد وُعدنا بالألم طوال فترة وجودنا على الأرض (انظر يو 16 : 33، أع 14 : 22، 2 تيمو 3 : 12). لا يوجد من يطلق عليه مؤمن مستريح؛ لكن هل يستطيع هذا الضيق أن ينزع فرحنا؟ لن يستطيع على الإطلاق. إننا في الحقيقة نفرح في الضيقات، نبتهج ونتهلل بالآلام؛ لأن هذه الضيقات تنشئ ثباتًا، وهذا ينتج بالتبعية مؤمنًا مسيحيا يتميز بالخبرة والنضوج. إن أولئك الذين لهم مثل هذا الثبات الروحي، لهم بالتأكيد الإيمان المتزايد؛ لأن الروحانية والرجاء مرتبطان معًا برباط وثيق (عدد3 ، 4).

بهذه الطريقة، فإن كل ما نعاني منه على الأرض؛ يجعلنا نتطلع أكثر وأكثر إلى الميراث السماوي الذي ينتظرنا. هذا الرجاء هو رجاء أكيد. وإذا لم يتجسد هذا الرجاء، نكون في خزي مُبين. لكن ليس هناك احتمال بأننا سنخزَى أو نُحبط في هذا الطريق؛ لأننا كلما نمَوْنا في الرجاء، ازددنا يقينا – بالروح القدس الذي يعمل في قلوبنا – أن الله يحبنا (عدد5)، وهذا اليقين يكون أكثر وضوحًا في وقت الضيق عنه في وقت الرحب.

يا له من اختبار عجيب ذلك الاختبار المسيحي! فإن صدمات هذا العالم تحرك رجاءنا، واشتياقنا إلى السماء، وكلما أدار العالم ظهره لنا؛ كلما تأكدنا أن الله يحبنا. فهل يفشل ذاك الذي يحبنا كل هذه المحبة في أن يحضرنا إلى بيته؟ هل يحرك روحه القدوس فينا رجاء، لا يمكن أن يتحقق؟

المحبة: أين تجد الدليل على أن الله يحبك؟

عدد 6 - 8: إننا لا نجده في الظروف التي نمر بها؛ ولكن نجده في الجلجثة. كنا بدون قوة، وعاجزين عن أن نخلّص أنفسنا. كنا عاجزين وضائعين، وعندما كنا في تلك الحالة؛ مات المسيح في الوقت المحدد من أجلنا، مع أننا كنا أشرارًا وغير مستحقين وتحت دينونة الله. تلك هي المحبة! تلك هي المحبة حقًّا!!

إنك لا تستطيع أن تتخيل محبة بشرية يمكنها أن تفعل مثل هذا. إنه ليس من المعتاد أن يقوم أحد بهذه التضحية العظمى، ومع ذلك ربما تجد شخصًا ما يموت ليخلّص شخصًا رائعًا، لكن ونحن بعد خطاة (بكل ما تحمله الكلمة من معانٍ) مات المسيح لأجلنا. هذا هو البرهان على محبة الله لنا ومقدار هذه المحبة. لقد كنا أثمة، وتعمدنا أن نكون أشرارًا وكان فسادنا داخليًّا وخارجيًّا. كنا أعداء الله، ومع ذلك مات المسيح لأجلنا. إن الصليب هو إعلان محبة لا مثيل لها ولا نظير. إنه البرهان الدامغ على أن الله يحبنا.
انظر: أي ضمان للمستقبل أعطي لنا في ذلك!!

عدد 9 – 11: إن سفك دم يسوع المسيح هو الذي ضمن تبريرنا، ويترتب على ذلك عدم وجود خطر علينا من الغضب الآتي. فإذا كان الرب قد بررنا بمثل هذا الثمن؛ فكيف يمكن أن يتركنا للدينونة؟ هذا مستحيل وغير معقول. ما أعظم رجاءنا!

عندما كنا بعيدين عن الله؛ قرَّبنا بموت ابنه، والأكثر من ذلك، لأننا قريبون سنخلص بحياته. إذا كان اتضاعه قد خلَّصنا عندما كنا بعيدين؛ فكم وكم يخلصنا ارتفاعه ونحن قريبين. إذا كان قد صنع معنا كل هذا الصلاح ونحن خطاة وأعداء؛ فبالتأكيد سوف يصنع معنا صلاحًا أعظم الآن ونحن أصدقاءه. إن كان موته يضمن لنا المصالحة؛ فكم وكم حياته تضمن لنا الخلاص النهائي.

إن الحياة المسيحية هي حياة فرح. إننا نفرح* على رجاء مجد الله (عدد2)، ونفرح في الضيقات (عدد3)، كما أننا نفتخر بالله بربنا يسوع المسيح (عدد 11). إنه الآب المصالح الذي قرَّبنا إليه في المسيح، وهذا يجعل قلوبنا تقفز فرحًا وتهليلا وابتهاجا وطربًا. إن الكفارة تمت والمصالحة تمت والخلاص هو حقيقة حاضرة؛ لذا تفيض قلوبنا بالفرح والامتنان والتقدير، وفوق الكل العبادة لله.

هذه إذن هي بعض البركات المصاحبة للتبرير، وقائمة البركات لم تنته بعد، وسوف يضيف إليها بولس الرسول الكثير من البركات، وهو يتقدم في سرد هذه الرسالة. لكنه قد عرَّفنا ما يكفي لنتحقق أن إنجيل نعمة الله في المسيح، قد جعلنا أغنياء حقًا.

*** لقد ترجمت الكلمة Rejoice إلى كلمة نفتخر في ترجمة فانديك وهي في الصيغة الدلالية أو في صيغة التمنِّي (نفتخر أو ليكن افتخارنا)، لأنها في الأصل اليوناني تفيد معنى الافتخار.**

بعض الأمور الأخرى التي يجب ملاحظتها

قبل أن نترك هذا النص المختصر والرائع، هناك بعض الأمور التي يجب أن نلاحظها.

يجب أن نلاحظ أن *خلاص الخاطئ هو عمل الله ثلاثي الأقانيم*، فما أروع هذا التوافق والانسجام الذي نراه بين أقانيم الثالوث في هذا النص! فالله الآب يحبنا، والبرهان على محبته ومقدارها يتضح من استعداده لموت ابنه الوحيد (عدد8). إنها نفس محبة الله التي يسكبها الروح القدس في قلوبنا (عدد5). لكن هناك من يصوِّرون الخلاص بشكل مختلف تماما؛ إنهم يصورون الله الآب وقد عقد العزم على أن يديننا؛ لكن المسيح – بموته البدَلي حرمه من هذا الامتياز – فيبدو الابن كما لو كان أكثر اهتمامًا من الآب بخلاص الخطاة. وفي الغالب لا يذكرون عمل الروح القدس في اختبار المؤمن، لكن الأمر مختلف مع بولس، فالنص الكامل يُظهر فهمه للتناغم المجيد والسرمدي بين أقانيم الثالوث، ويرى أن الخلاص هو عمل اللاهوت كله.

كما يجب أن نلاحظ *وصف بولس للشخصية المسيحية*. في غل5: 22 يبدأ قائمة ثمر الروح بالمحبة والفرح والسلام وطول الأناة، وفي 1كو13: 13 يؤكد على الإيمان والرجاء والمحبة. هذا النص متوافق تمامًا مع هذه الأوصاف. ومع أننا لم نبدأ بعد في الأصحاحات 6 – 8 إلا أنه واضح بالفعل أن أولئك الذين تبرَّروا، لهم أيضا حياة جديدة. ومن الواضح أيضا أن حقائق الإنجيل ليست فقط حقائق موضوعية تدرَك بالعقل، لكن قوة هذه الحقائق يمكن أن تُختبر شخصيًّا، وهذا بالطبع هو عمل الروح القدس. لكن في الحياة العملية عندما نتأمل في هذه الحقائق مقترنة مع صعوبات هذه الحياة الأرضية، فإن هذا يُغني اختبارنا المسيحي ويُثريه.

أخيرًا – علينا أن نلاحظ أن *تبريرنا وسلامنا مع الله واقترابنا من حضرته الملكية – كل هذه لا علاقة لها بظروفنا*. إن ضيقات هذه الحياة تنمِّي شخصيتنا المسيحية؛ لكن هذه الامتيازات الثلاثة تبقي راسخة لا تتغيّر ولا تقبل التغيير؛ فلن يوجد ذلك الوقت الذي يكون فيه تبريري – أو سلامي مع الله أو قبول الله لي – أمرا تقريبيًّا.

إن هذه الأمور تستند على عمل المسيح الذي أكمل، لذا فإن علاقتي بالله تبقى دائما ثابتة دون تغيير. أما الضيقات وتفاعلي معها؛ فتعني أن هناك أوقاتًا أكون فيها أقل قداسة

من الأوقات الأخرى، وهناك أوقات تكون فيها طاعتي وروحانيتي أعظم من أوقات أخرى، لكن علاقتي مع الله تبقى ثابتة لا تتغيَّر، وقبولي لدى الله كامل. هذه النقطة إذا لم تكن واضحة لنا فإننا نكون فقدنا ما يقوله الرسول بولس في هذه الأعداد.

اقرأ رومية 5: 12 – 21

آدم الأول وآدم الأخير

يوجد الكثيرون في هذه الأيام الذين ينكرون أن آدم كان شخصية تاريخية حقيقية. في هذا النص تعتمد حجة بولس الرسول تمامًا على حقيقة أن كلا من آدم ويسوع كانا شخصين تاريخيين بنفس المفهوم؛ فهو يعقد مقارنة بين الشخصين، وهذه المقارنة لا يمكن أن تعقد لو لم يكن لكل منهما وجود، فوجود آدم ضروري لهذه المناقشة تمامًا مثل وجود المسيح.

لو لم يكن لآدم وجود – كشخصية حقيقية تاريخية – كأب للجنس البشري؛ فإن كل الحجج التي يسوقها الرسول بولس تبطل. وإذا لم يكن سقوط الواحد لم يسقطنا جميعًا، فلا معنى من البرهان على أن طاعة الآخر